

عَيْنَايَ تَرْقُبُ سَاعِدَ السَّمَاءِ وَهُوَ يَسْحَبُ حِبَالَ (اللَّيْلِ) سَمَاءً دَاكِنَةً، شُرُوحُ الْبَحْرِ غَائِصَةٌ فِي لَحْمِ جَبِينِهِ. قُلْتُ فِي نَفْسِي يَجِبُ أَنْ أَكْتُبَ لِصَالِحِ هَؤُلَاءِ؛ سَيُصْبِحُ لَكَ شَأْنٌ عَظِيمٌ يَا خَلِيلُ، هَكَذَا يَقُولُ قَلْبِي وَهَذَا لَا يَكْذِبُ أَبَدًا. قَلْبُ الْأُمِّ كِتَابٌ يَحْفَظُ أَسْرَارَ الْأَبْنَاءِ. لَمْ أَفْتَشْ عَنِ الْوَرَقِ وَالْقَلَمِ، جَلَسْتُ لَمْ أَطْلُبْ مِنْ أُمِّي فَنَجَانِ الْقَهْوَةِ الْمُعْتَادِ؛ خِفْتُ أَنْ يَهْرُبَ مِنِّي الْمَوْضُوعُ وَأَنَا أَسْتَمِعُ إِلَى دَعْوَاهَا. يَأْخُذُ لُقْمَةً عَيْشِهِ مِنْ فَمِ جَبَّارٍ لَا يَلِينُ وَلَا يَهْدَأُ، الْبَحْرُ الْعَنِيدُ يُوَاجِهُهُ سَمَّاكَ شَدِيدُ الْمِرَاسِ. سَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ عَظِيمٌ. الْحَدِيثُ عَنِ الْمُتَعَبِينَ يُورِّقُ بِالِ الْآخَرِينَ. يَدِي الْمَلْسَاءُ تَقْبِضُ عَلَى الْقَلَمِ بَعْنَفٍ، أَطَالِيهَا بِأَنْ تَتَحَالَفَ مَعِي، الْعَرَقُ يُغْسَلُ بِالْمِلْحِ، تَذَكَّرْتُ كَلَامَ أُمِّي "سَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ عَظِيمٌ". أَجَلَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ عَنِ الْمُتَعَبِينَ يَسْتَحِقُّونَ الْمَجْدَ الْعَظِيمَ. وَإِلَّا مَاذَا تَعْنِي عَظَمَةُ الرِّجَالِ فِي أَعْمَالِهِمُ الْخَالِدَةِ. طَلَبْتُ فَنَجَانِ الْقَهْوَةِ، وَضَعْتُ الْفَنَاجَانَ وَوَقَفْتُ قُبَالَتِي، ابْتِسَامَتُهَا الْعَذِيبَةُ كَانَتْ تُرِيحُنِي كَثِيرًا، أَشْعُرُ بِلَذَّةٍ فَائِقَةٍ عِنْدَمَا تَرْمُقُنِي بِعَيْنَيْهَا ذَاتِ الشُّعَاعِ الْحَانِي. أُمِّي تُرِيدُ أَنْ أَكُونَ عَظِيمًا؛ خَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ فِي طَرِيقِي إِلَى مَقَرِّ الْجَرِيدَةِ، قَابَلْتُ الْمُدِيرَ شَرَحْتُ لَهُ الْمَوْقِفَ، أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ فِي قَلْقٍ بِالِغِ، رَفَعَ بَصَرَهُ فِي وَجْهِي ابْتِسَامًا، ثُمَّ وَضَعَ إصْبَعَهُ عَلَى جُمْلَةٍ جَاءَتْ ضِمْنَ الْمَقَالِ. قَالَ فِي هُدُوءٍ: هَذِهِ الْجُمْلَةُ لَا تَتِمَّاشِي مَعَ مَضْمُونِ الْمَقَالِ، قُلْتُ فِي دَهْشَةٍ: تَقْصِدُ أَنَّهَا تَحْتَوِي عَلَى خَطَأٍ لُغَوِيٍّ؟ هَزَّ رَأْسَهُ، قَالَ فِي هُدُوءٍ: لَا أَقْصِدُ ذَلِكَ. فَلَا بَأْسَ مِنْ حَذْفِهَا، الْمُهْمُ أَنْ الْمَقَالَ يَأْخُذُ طَرِيقَهُ إِلَى النَّشْرِ. الْمُهْمُ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْقُرَّاءِ شَيْءٌ مِمَّا أُرِيدُ، الْمَقَالُ فِيهِ تَوْعِيَةٌ وَلَفْتُ انْتِبَاهًا لِلْقُرَّاءِ حَوْلَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْكَادِحَةِ الْمُتَعَبَةِ، الْقُرَّاءُ يَسْتَنْبِطُونَ مَا بَيْنَ السُّطُورِ، عُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ وَأَنَا أَكْرِرُ كَلَامَ أُمِّي، وَأَشْكُرُ الْمُدِيرَ عَلَى تَجَاوُبِهِ. جُمْلَةٌ لَمْ أَذْكُرْهَا فِي الْمَقَالِ لَوْ كَتَبْتُهَا سَوْفَ يَكُونُ لَهَا وَقْعٌ خَاصٌّ فِي نَفُوسِ الْقُرَّاءِ. فَكَّرْتُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الْجَرِيدَةِ؛ لِأَسْحَبَ الْمَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى، لَا دَاعِيَ: النَّاسُ أَذْكِيَاءُ وَيَفْهَمُونَ مَعْرَى الْحَدِيثِ. وَجُمَلُ الْمَقَالِ تَتَدَخَّرُ فِي رَأْسِي كَالزَّبْنِيقِ: السَّمَاءُ، صَوْتُ الْبَحْرِ وَهُوَ يُدْعِدُّ أَذَانَ السَّمَاءِ، كَلَامُ أُمِّي "سَيَكُونُ لِي شَأْنٌ عَظِيمٌ". بِالْقُرْبِ مِنَ الْبَيْتِ قَابَلْتُ جَارَنَا سَعِيدًا، كَانَ التَّعَبُ بَادِيًا عَلَى وَجْهِي، لَفْتُ نَظْرِي كَيْسَ عُلْفَهُ بِيَدِهِ